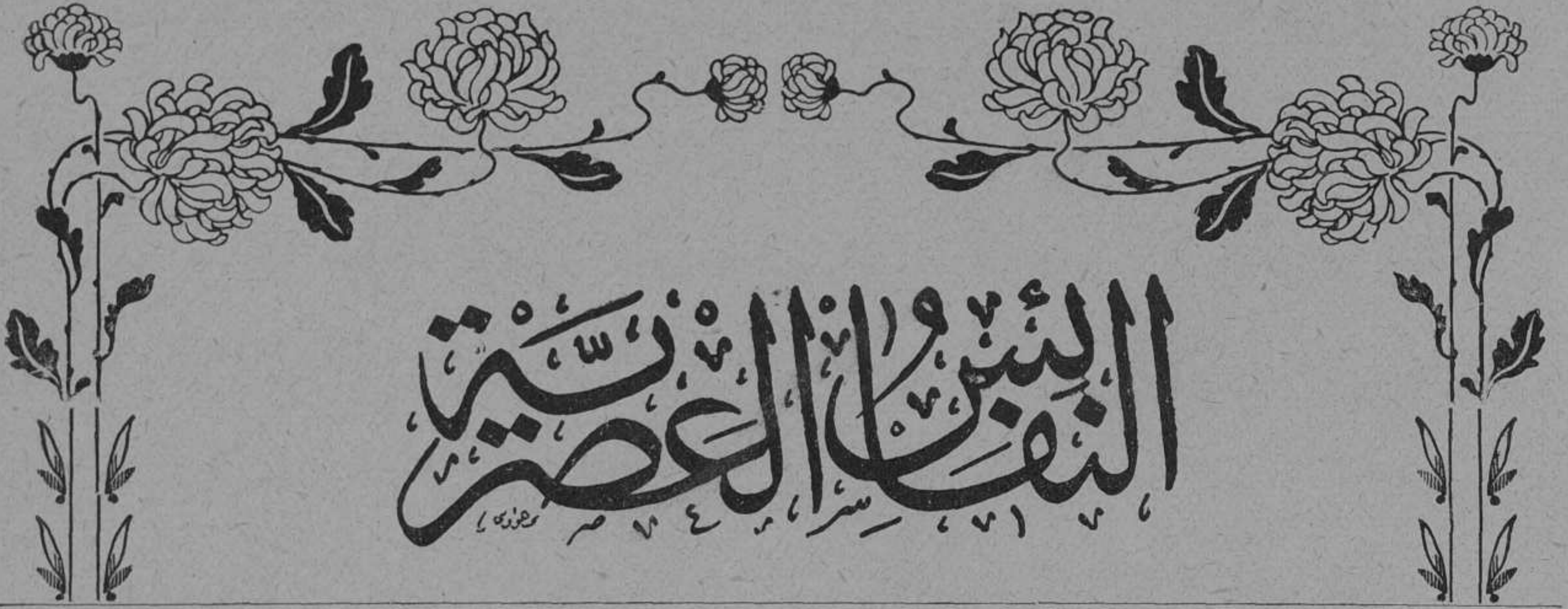


الجزء الاول | كانون الثاني سنة ١٩١١ | السنة الثالثة

مقدمة السنة الثالثة

مرَّ على «النفائس» سنتان وهي سائرة في خدمة الاداب مستعينة باليسير من الموارد لبذل الكثير من المنافع . وقد يسر الله لها ان تتغلب على المصاعب وتجتاز مرحلتها الثانية لتذوق حلاوة الثبات والصبر

فهي تذكر ماضيها بحمد الله تعالى على ما ادركتهُ من اسباب الترقي والنماء وتشكر لاولي الفضل وذوي المروءَة من الوكلاء والاصدقاء والمكاتبين والمشتركين ما ابدوهُ لها من رقة العواطف وكرم المهزَّة الاريحية . فقد امدُّوها بمساعدتهم ومهدوا لها سبل الانتشار حتى نمت وتقدَّمت وبلغت منزلةً لم تكن تؤمل بلوغها على حداثة عهدها

نالت هذه المجلة في عامها الثاني من الحظوى في اعين قرائها ما استنفد جميع نسخها واضطرنا الى اعادة طبع الاجزاء الاربعة الاولى منها . وقد نفدت ايضاً واضطرَّنا الامر الى اقفال باب الاشتراك منذ الجزء التاسع على ان نعود فنطبعها طبعة ثالثة

بيدَ اننا بينا كنا على وشك اصدار المجلة في وقتها اي في تشرين الثاني الذي هو بدء كل سنة من سنيها وقفت في طريقنا عوائق حالت دون مواصلة العمل فاضطرنا الى حجبها عن قرائها ومريديها شهرين كاملين. واهم تلك العوائق انتقال صاحبها من حيفا (مكان ادارتها) الى القدس لبعض شؤُون طائفية وطنية لا محل لذكرها هنا

ولما كان تأخر المجلة قد حصل بعد تمام سنتها الثانية وقبل صدور الجزء الاول من سنتها الثالثة فلم يضع على حضرات المشتركين شيءٌ من الحقوق سوى الانتظار الذي نعتذر عنهُ بهذه الاسطر وفي يقيننا ان حضراتهم لا يضنون علينا بقبول هذا العذر وخصوصاً اذا علموا اننا قد تفرغنا مذ الان للمجلة ولم يبقَ ما يشغلنا عنها من الواجبات المدرسية التي كانت تستغرق اكثر ساعات نهارنا

وعليهِ فنحن سنضاعف الجهد منذ الان في تحسين هذه المجلة والاهتمام باتقانها واصدارها في اوقاتها بما يحقق كمال الارتياح اليها والرضى عنها

ولنا في لطف قرَّائنا وحمية وكلائنا ما يوءازرنا على هذا العمل الخطير الذي لا يتمُّ بغير التكاتف واجتماع القوى. والله المسوءول في تيسيرنا الى متابعة هذه الخدمة انه تعالى وليُّ التوفيق وهو حسبنا



الانسان والطبيعة

نشأة العلوم الطبيعية

اذا التفتنا الى ما حولنا وأنعمنا النظر في كل ما يبدو امامنا كل يوم من الاكتشافات والاختراعات العصرية في عالم الطبيعيات وقابلنا بينها وبين ما كان عليهِ الناس في القدَم نحتار ونندهش ونعجب بقوة الانسان وتفننهِ واقدامهِ

فهذه المعامل الكبيرة تحتوي على مئات وأُلوف من الادوات والالات العجيبة الهائلة التي تحير العقول وهي منتشرة في كل مكان قيد اشارة الانسان

وهذه القطر الحديدية تقلنا الى جميع اطراف الارض بسرعة غريبة وكلماتنا تنقل باسلاك التلغراف والتلفون الى اية جهة اردنا من الافاق والغاز والكهربائية ينيران امامنا كل ظلام ويحولان ليلنا نهاراً والمطابع تعرّف الناس في سائر الامصار والاصقاع بكل ما يُرى وما لا يُرى

وقد اخترق الانسان الفضاء وذلل الهواء وسار على وجه الماء ودكّ رواسي الجبال وصنع من عجائب الامور ومعجزات الاعمال ما يحير العقول ويخلب الافكار

وبعد هذا الذي نراه او نسمع بهِ من الايات والمدهشات يصعب علينا ان نتصور حياة الانسان خالية من كل ذلك

لاجرم ان الناس عاشوا دهوراً طوالاً دون ان يعرفوا شيئاً من قوى

البخار والكهربائية ولم يكن لديهم آلات وادوات وسكك حديدية وتلغراف وتلفون وغير ذلك مما يتمتع بهِ ابناء العصر الحالي. وكل عمل يتمُّ الان في المعامل بسرعة غريبة كان يقتضي اشهراً كاملة وهو بين ايدي الصناع والعمال. وكان السفر من جهة الى أخرى شاقاً طويلاً بالنسبة الى السفر في هذه الايام. وهذه المطابع يطبع بعضها الان نحو تسعين الف نسخة في الساعة او ١٥٠٠ في الدقيقة ولم يكن لها وجود في الاحقاب الغابرة ...

ولو اردنا تعداد الامثلة والمقابلة بين حياة اليوم وحياة القدَم لتعذر علينا ذلك ...

وما زال البشر منذ اقدم الأزمنة يسعون في سبيل الارتقاء العمراني الى ان ادركوا ان لا نجاح لهم في شيء الا باستخدام قوى الطبيعة. وان هذا الاستخدام لا يتم الا بدرس خاصياتها وادراك فعلها وتأثيرها بعضها في بعض وفي العالم

وبقي الانسان دهراً طويلاً يدرس طبيعة الهواء والماء والارض والمعادن وقوة النور والبخار وغير ذلك من الطبائع التي كان يجهلها ويعتبرها اسراراً وخوارق وآلهة. وما زال يرتقي رويداً رويداً الى ان ادرك اخيراً سرها وعرف ان كل شيء في الكون انما يجري على سننٍ طبيعي ونظام لا يتغير. وصار من ذلك الحين يدرس الطبيعة وشرائعها ويستخدم قواها لتحسين شؤُون حياتهِ

هكذا نشأ علم الطبيعيات وتلتهُ الصناعة والفنون

فاما علم الطبيعيات فيبحث عن الغازات والسوائل ومميزاتها وخصائص

الاجسام الصلبة ومصادر الحرارة والصوت والنور وقوة الجاذبية (المغناطيسية) والكهربائية وغير ذلك . ولا يزال هذا العلم يتسع وينمو وعلماؤُه يزدادون تفنناً واطلاعاً . بعضهم يشتغلون باكتشاف القواعد الطبيعية وآخرون بتطبيق هذه القواعد على الحياة وغيرهم باستنباط الالات والادوات الصناعية والفنية لخدمة البشر عموماً . وكلهم يسعون في سبيل تقدم البشر الى مراقي الكمال والعمران

جدُّ علماء الطبيعة

قبل المسيح باحقاب كثيرة كان اليونانيون امة عظيمة القدر طائرة الذكر يُعتبرون ارقى الشعوب حضارةً وعلماً وقد نبغ منهم نفرٌ من مشاهير الرجال الذين درسوا الطبيعة والاداب والتاريخ والرياضيات وغيرها . ومن اشهر اولئك العلماء والفلاسفة ارسطاطاليس وارخميدس . فاما ارسطاطاليس فقد عُني بدرس طبائع النفس البشرية وحياة الانسان والطبيعة وظواهرها وكتب في ذلك كتباً مشهورة . نعم انهُ لم يكتشف اكتشافات خاصة ولم يكتب باسهاب عن ظواهر الطبيعة ولكنهُ كان اول من وضع اساساً للعلوم الطبيعية ونفخ في الناس ميلاً لدرس قواها العظيمة (انظر ترجمة حياتهِ في مجلد السنة الثانية من هذه المجلة)

وبعد مضي مئة سنة من وفاة ارسطاطاليس قام ارخميدس فأَخذ مبادئهُ وزاد عليها ووسعها وبذلك خدم علم الطبيعيات خدمة سنية

قبل ميلاد المسيح بنحو ٢٥٠ سنة زحفت كتائب الرومانيين على جزيرة صقلية (سيسيلية) بنية محاربتها واذلالها وقد استظهروا بعض الاستظهار في الجزيرة وحاصروا سيراقوسة وهي احدى امهات مدن

الجزيرة . وكان عليها ملك عاقل حكيم يقال له هيرو الثاني فدافع عن المدينة دفاعًا عجيبًا وثبت الاهلون وقاومت سيراقوسة زمنًا طويلاً مع ان قوات العدو كانت تفوق حاميتها اضعافًا كثيرة . غير انها اضطرت اخيراً الى التسليم . ولما دخلها الرومانيون رأى احد جنودهم شيخًا معتزلاً عن الناس جالسًا مطرقًا وامامهُ خطوط هندسية رسمها واقام يتأمل فيها . ولما شعر الشيخ بدنو الجندي صرخ بأعلى صوته : «لا تمسّ خطوطي !» وكانت هذه الكلمات آخر ما لفظهُ قبيل وفاتهِ لان الجندي طعنهُ حالاً بحربة فارداه قتيلاً

هذا الشيخ هو الفيلسوف ارخميدس اشهر فلاسفة اليونان في الفنون الرياضية ومن اكابر علماء الارض في الطبيعيات . ولد سنة ٢٨٧ ومات سنة ٢١٢ ق.م واليهِ مرجع الفضل في مقاومة سيراقوسة ودفاعها العجيب وثباتها السنين الطوال امام قوات العدو الهائلة . فقد اخترع منجنيقات لدفع هجمات الرومانيين واستنبط وسائط جديدة ارهبتهم وأحبطت مساعيهم . قيل انهُ نصب مرآة عظيمة مقعرة بحيث جمع بها اشعة الشمس على بوارج الرومانيين فاحرقتها

ولما قُتل الملك هيرو في اثناء الحصار (سنة ٢١٥) بقي ارخميدس يحرّض السيراقوسيين على الثبات ويخترع من الالات والادوات ما يقيهم هجمات العدو الى ان قلَّ الزاد في المدينة وتمكن الرومانيون من بعض مداخل الاسوار بالخدعة فدخلوها سنة ٢١٢ (ق.م) ولم يبقوا ولم يذروا . وبهذه النصرة استولوا على كل سيسيلية

* * *

ان لاكتشافات هذا الفيلسوف في الهندسة والالات وقوة المياه ونواميس النور فضلاً كبيراً على العلوم الطبيعية . فانهُ هو الذي اكتشف ان نسبة قطر الدائرة الى محيطها هي نسبة ٧ الى ٢٢ . وبين خاصية المخل واستنبط قواعده في معرفة موازنة الاجسام المتحركة . واوضح طريقة معرفة مركز الثقل في الاجسام المسطحة . واكتشف على ضغط السوائل . وبين الحالة التي يكون فيها جسم صاب متوازياً وهو عائم في المياه . واخترع لولباً لرفع المياه يعرف بلولب ارخميدس وهو كثير الاستخدام لرفع المياه . وله غير ذلك مما تجده في كتبه ومصنفاتهِ

ومما يؤْثر عنهُ في اكتشافه ناموس الثقل النوعي الحديث التالي :

قيل ان الملك هيرو (المذكور آنفًا) أعطى صائغًا مقداراً من الذهب ليصوغ له منهُ تاجًا . فصاغ التاج . ولكن خامر الملك شك في امانة الصائغ حاسبًا انهُ مزج الذهب بالفضة . فطلب من ارخميدس ان يعرف ذلك من غير ان يحلل التاج . فأَشكل الامر عليه ولبث يفكر فيهِ مدةً حتى اذا دخل يومًا الحمام وغطس في مغطس رأَى ان الماء كان يصعد كلما غرق جسده في المغطس . فعرف من ذلك ان كل جسم اذا انغمس في سائل يفقد من ثقله كمية توازي كمية ثقل ما شغل مكانه من السائل . فعرف بهذه القاعدة ما خلط بذهب التاج من المواد الغريبة بان وزنهُ بالماء مقابلاً اياه بقطعة ذهب من قدره فكان من ذلك اكتشافه للموازنة بين الاجسام المنغمسة في السوائل . قيل ولما عرف ذلك وهو في الحمام فرح فرحًا لا مزيد عليه . ومن فرط فرحهِ خرج من الحمام عارياً وهو يقول : يوريكا يوريكا ! (اي وجدتها وجدتها)

وخلاصة القول ان الفضل في وضع القواعد الطبيعية الاساسية هو لارخميدس — جد علمآء الطبيعة . ومن بعده سار هذا العلم الجليل الى الامام وارتقى البشر في معرفة قوى الطبيعة واستخدامها

وسنفرد في الاجزآء القادمة من النفائس لكلٍ من الاكتشافات الطبيعية والاختراعات المفيدة فصلاً خاصاً نبسط فيه البحث بما يحتمله المقام من الاسهاب والتفصيل . وكل آتٍ قريب



إلاهة الجمال

في احد ايام الصيف وقد اشتدَّ الحرُّ وجفَّ الهوآء ولجأَت الاطيار الى وكناتها والناس الى منازلهم فراراً من وقدة القيظ — كان يُسمع من الغابة صوت عزف وغنآء رخيم

هناك في وسط الغابة كانت شجرة سنديان كبيرة وقد جلس على احد فروعها اله الحقول والاحراش واخذ نايه (شبابتهُ) وجعل يوقع عليه الحانه المطربة

وظلَّ هذا الاله يعزف ويغني وهو يزداد حماساً ويزداد صوتهُ جلاءً الى ان سمع حفيفاً فتوقف بغتة عن الغناء وارهف اذنيه ليعلم من القادم وقد ظن لاول وهلة ان ذلك الحفيف انما هو صوت مشي نعجة من النعاج السارحة في الغابة او دبيب حية بين الهشيم . غير انهُ لم يلبث ان رأى امامهُ الاهة الجمال فذهل وجحظت عيناه

وقفت امامه هذه الالاهة وهي عارية الجسم وقد انسدل شعرها

الذهبي الطويل على كتفيها وغطت وجهها بيديها

وكانت واقفة مطرقة بلا حراك

فنظر اليها الاله نظرة المعجب بجمالها ولكنهُ ذعر لانهُ رآها حزينة فلم يطق ان تبادره هي بالكلام بل وثب اليها وأنزل يديها عن عينيها فرأى وجهها الرائع وقد بللتهُ الدموع وعينيها المحمرَّتين من شدة البكاء فهاج بلباله وصاح بأعلى صوته : أُقسم بالاله زفس انكِ كنتِ تبكين ! فما هذا ايتها الالاهة الجميلة ؟ ان البكاء ليس من شيمة الالهة فاتركي الدموع للناس ولا تبكي

فتنهدت الالاهة وقالت :

— قد سمعت صوت غنائك عن بعد فجئتُ الى هنا لاسمع الحانك المطربة وابدد بها بعض شجوني واحزاني

وكان الاله يسمع صوتها الرخيم ويشرب كلماتها شرباً ولم يلبث ان احسَّ بقشعريرة في كل بدنه . فتنهد وهو لا يكاد يرفع نظره عن ذلك الجمال الفتان ثم قال : — اني اقسم بجوبيتر انكِ حزينة القلب ولا بدَّ ان يكون قد احزنكِ اله الحب او اساءت اليكِ الاهة الصيد . . . قولي لي ايتها المفدَّاة لاني مستعدٌّ ان اخدمكِ وأُسرّي ما بكِ من الاشجان . ثم طوَّق خصرها واجلسها على جذع شجرة مطروحة على الارض وجلس عند قدميها

فقالت — لم يُسئ اليَّ احدٌ من الالهة . . . وارادت ان تواصل حديثها فخنقتها العبرات

فصاح الاله — كفكفي دموعك يا سيدة الجمال واذكري لي اسم

هذا الذي اجترأ على مقامك السامي حتى اصعقهُ برعود السماء وأصبَّ عليهِ قذائف الجحيم

فتنهدت الالاهة ولم تحر جوابًا

فقال الاله وقد بلغ الغيظ منهُ كل مبلغ :

— اذا كانت الالهة لم تحزنكِ ولم تترشجونكِ فلم يبقَ الاَّ الانسان. ولكن قولي لي على الاقل كيف استطاع هذا المخلوق الترابي ان يرفع نظره اليكِ ويجعل للحزن سبيلاً الى قلبكِ ؟

قالت وهي تتنهد — اسمع فاحكي لك: في احد ايام الحرّ كهذا النهار خرجت الى الغابة التمس جدولاً لاغتسل فيهِ تخفيفًا لوطأة الحر الشديد. وفيما انا سائرة في طريقي رأيتُ فتىً نائمًا على الكلأ الاخضر الناعم. فدنوتُ منهُ واخذت أتأمل فيهِ فاذا هو في ريعان الشباب ومنتهى الجمال فشعرتُ بارتياح الى الوقوف بازائه والتأمل في امارات وجهِ الوسيم. ثم حانت مني التفاتة الى ما حوله فرأَيت الى جانبهِ علبة صغيرة وحقيبة اوراق. وفيما انا مشتغلة الذهن بالتأمل فتح النائم عينيه ونظر اليَّ. فاختلج جسمي وخفق قلبي. وقبل ان املك روعي استوى الرجل وقال لي بصوت لم اسمع أرقَّ منهُ :

—ايتها الالاهة الجميلة! اني قد ضللتُ السبيل في هذه الغابة الكثيفة وانا أبحث عن الجمال والان اكاد ان اموت جوعًا وعطشًا فاشفقي عليَّ واعطيني قليلاً من الماء انضح بهِ جوفي الملتهب . . .

وكان بالقرب من المكان جدول. فركضتُ اليهِ ولم ألبث ان عدتُ الى الشاب وسقيتهُ بيدي. ولما ارتوى ذهبتُ وقطفتُ له

بعض الاثمار اللذيذة فاكلها وهو يرنو اليَّ بعين المحب الولهان . ثم سألني قائلاً – ايتها الالاهة الجميلة ! اني اسألكِ ان توليني نعمةً واحدةً ولا اظنكِ تضنين عليَّ بها

وكنتُ حالما وقع بصري عليهِ قد تعلقت بهواه فاجبتهُ – قل ما بدا لك لاني اودُّ ان أفعل ما تريد

قال – اسمحي لي ان اتلذَّذ بمشاهدة جمالكِ الفتان وقتًا قصيرًا كل يوم . واعلمي ياسيدتي اني من طلاَّب الجمال والمجد وقد جُبت الامصار وطفتُ في سائر الاقطار ناشدًا ضالتي الى ان رأيتكِ . فان انتِ سمحت لي بهذه النعمة اكون أسعد رجل على وجه الارض

فلم افهم كلامهُ ولكني اجبتهُ الى ما طلب وقد شعرتُ اني قد أُخذتُ بباهر جمالهِ واصبحتُ رهينة امرهِ

فقال – قفي الان قليلاً ياسيدتي على شاطئ هذا الجدول القريب من هنا ودعيني انظر اليكِ وأتأمل في جمال قدكِ ورائع حسنكِ

ثم رأيتهُ قد اخرج ورقًا من حقيبتهِ وأخذ ينظر اليَّ من قمة رأسي الى اخمص قدميَّ ويرسم على الورق وانا لا اعلم ما بغيتهُ من كل ذلك

ولما فرغ من عمله قام فجمع اوراقه ودنا مني فرسم على يدي قبلةً حارةً وانصرف لشأنه على ان يعود في اليوم الثاني

وفي الوقت المضروب كنت واقفة في الغابة أَنتظر قدومه وقد هاجني الشوق اليه . ولم أَلبث ان رأيته قادمًا وعلى وجهه ابتسامة الحب والسعادة . فتلقيتهُ بمزيد السرور ورجوتُ ان يجلس اليَّ فيفاتحني بحديث الغرام . غير انهُ سألني ان اقف مرة أُخرى على شاطئ الجدول ففعلتُ

واخذ هو اوراقه واقلامه وجلس يرسم وينظر اليَّ وانا اشعر لدى كل نظرة بنار الحب تزيد ضراماً في صدري . . . ولما فرغ من عمله دعاني وقال — انظري الى هذا الرسم يا ربة الحسان . فنظرتُ واذا صورتي بعينها وقد رسمها هذا الفتى بتمام المهارة والحذق فدهشت لبراعته وعظم شأنهُ في عينيَّ ووددت ان لا افارقه لحظة فقال . — ان هذا الرسم سيفتح لي طريق الشهرة والمجد وسأكون اشهر رسَّام على وجه البسيطة . ثم غادرني وانصرف لشأنهِ . ولم اعد اراه

وكنتُ اجيء كل يوم الى الغابة فأقضي الساعات الطويلة في انتظاره وانا اؤمل بان تعود علي الايام بما أتمنى الى ان عيل صبري وسئمتُ الحياة

فقال اله الحقول والاحراش — الان علمت ان الناس يقدرون ان يقضوا الحياة مرتين وبذلك هم يفوقوننا

فتنهدت الالاهة وقالت — واعلم ايها الصديق ان هذا الحادث قد أثر في نفسي تأثيراً شديداً واني اودُّ ان احظى بهذا الحبيب وخيرٌ لي ان لا اكون الاهة واجتمع بهِ من ان اكون الاهة بدونهِ لان حبه قد شغل قلبي واخذ بمجامع حواسي ونغص حياتي وراحتي فأصبحتُ ضعيفة هزيلة لا يلذُّ لي الا الحزن والبكاء ولا اطيق صبراً على هذه الحال . ولما سمعتُ انشادك الشجي اسرعتُ اليك رجاء ان أسرّي شيئاً من همومي وأدفع اضطراب قلبي فزادتني الذكرى ألماً على ألم

فصاح اله الحقول والاحراش — ايها الناس ! انكم لحمقى وجهال لانكم تطلبون الجمال في الصناعة فقط فلن تدركوا السعادة لانهما على طرفي

نقيض . فلو التمستم الجمال الحقيقي المجرَّد عن كل فن وصناعة لأدركتم السعادة الحقيقية ولكنكم جهلاء حماقى

ولبث اله الحقول يزدري بالناس وينعتهم بمثل هذه النعوت والالقاب وهو ينظر في كل لحظة الى وجه الالاهة فيراه حزيناً مقطباً . ولما فرغ من كلامه دنا اليها فطوَّقها بذراعهِ وقال :

— كفى الان فينبغي ان لا تكترثي بمحبة هذا الانسان الصعلوك وأزيلي ذكره من لوح صدركِ

ثم اخذها وسارا معاً في الغابات

كلمتي الاولى

لقرَّآء «النفائس العصرية» الكرام

اذا تعارفنا تصافحنا واذا تصافحنا اتحدنا
واذا اتحدنا فزنا في معترك الحياة

طلب اليَّ حضرة صاحب هذه المجلة الفاضل ان اكتب شيئاً للقرآء في كل عددٍ من اعداد النفائس فلبيت الطلب مسروراً اتمكني بهذه الواسطة من مخاطبة العدد العديد ممن تجمعني واياهم الجامعة الوطنية وتربطني بهم الرابطة القومية

ورأَيت الافضل ان نتعارف قبل الدخول في جدّ الحديث ليكون للكلام وقع حسن وللمصافحة معنىً اخوي . فوجهت كلمة اولى وهي مقدمة التعارف الى كل طبقة من طبقات القرّآء حسبما قامت صورتهم

مجموعةً في ذهني وفيها الفلاَّح والصانع والتاجر والمعلم والكاتب والحاكم والسياسي وغيرهم

وقدَّمت الفلاَّح في الذكر لانهُ صديقي الخاص واساس العمل في كل أين وآن وعلى بنائهِ يُشاد معظم هيكل العمران

فهوذا نحن هنا وجهاً لوجه ايها الصديق فمدَّ اليَّ يدك الحاملة وسام الشرف اهزُّها فنتصافح

اجل ايها الفلاح الصغير في عيون الجهلة الكبير في عيون العارفين الوضيع في نظر المعتدين على الشرف الرفيع في نظر الشرفآء الحقيقيين العاطل من الحلى والاوسمة في الظاهر الحالي بوسام الشرف العالي وهو كلال يديك من العمل والعمل قوام العمران وعليه يوقف شرف الشرفآء وفخر المتعالين والاغنيآء . فليهنئك العمل ولتهنأ بك الامة لانك لبابها واهل البطالة مصابها

هذه كلمتي الاولى لك وسأزورك في حقلك وأساعدك في عملك خصوصاً اذا طلبت انت مني ذلك فتراني على ما تريد باذلاً جهدي لايقافك على الاخبار الزراعية والمواد الكيمية التي تعود على ارضك بالخصب وعليك بالراحة

وقبل ان افارقك وقد تعارفنا اني اوصيك وصية ثمينة وهي ان تتقن عملك ليكفيك ريعهُ وتقنع بعد بذل الجهد بما يقسمهُ الله لك فتعيش سلطاناً ويصح فيك المثل القائل «الفلاح المكفى سلطان مخفي»

بل قد تكون في كوخك الحقير اسعد حالاً من كثيرٍ من الملوك الذين لا يأْوي الى قصورهم الباذخة غير المتاعب والهموم . فلا تغرَّنك

الظواهر المموّهة والابهة الممزوجة بالاشواك والمناخس فما حسن الحال الا في رخآء البال وهو اليك اقرب من حبل الوريد . فأتقن عملك واجتهد واستقم واقنع تفز بادراك اعظم سرّ من اسرار الحياة الموصلة الى الراحة في وسط جهاد الحياة

والان فاني اتركك الى حين مودّعًا اياك بما يليق بمقامك العمراني من الاحترام فأزور ابن عمك الصانع

نعم ايها الصانع الشريف انك ابن عم الفلاح لحًّا ولك ما لهُ وعليك ما عليهِ في المجتمع الانساني . ولو تقاعد الفلاح وتهاونت انت لخربتما بناية العمران ودككتماها حجرًا حجرًا حتى الاساس

من هم هؤلاء التجار والكتبة والساسة والعظماء؟

ان هم الأَعيال عليكما يستندون وبكما يرقون . ولا تُقاس الثروة الثابتة الحقيقية لاي بلاد الاّ بما يكون من نتيجة عملكما . واذا أثرت أمة بتجارتها دون صناعتها وزراعتها فثروتها زائلة لا محالة لانها مبنية على اساس غير ثابت لما ينتابهُ من وفرة الصدمات الخارجية . بل قد تقوّضهُ فواعل ضعيفة كأخبار الحرب وإقفال الاسواق الخارجية بوجه التجارة وغير ذلك مما لا يؤَثر او يؤَثر قليلاً بصناعة البلاد وزراعتها لنفع اهلها

فانت من اهم الاعضآء العاملة في جسم العمران ويحقُّ لك الشكر اذا توفرت على صنعتك وأَقمت عليها باجتهاد وامانة وأَنضيت همتك لتبرز فيها وتبتكر . والاهم ان تستقيم «فالاستقامة رأْس النجاح»

وهوذا التاجر يستغرب قدومي اليه بعدك وكان ينتظر ان ازوره اولاً . نعم لا انكر عليك ايها المقدام انك قريب الصانع والزارع

ولكنك ابن عمهما كلالةً لا لحّاً[١] . فانت تغني البلاد بغناك ولكنك مفتقر لنسيبيك افتقار الامة اليك . فمقامهما في الهيئة الاجتماعية الاول ولك المحل الثاني . ولكن هذا لا يحقرك ولا يمسك بشيء . فالهيكل العمراني مستند عليك ايضاً ولو كان استناده نسبياً . فهل لك ان تثبت نفسك وتزداد مناعةً فيزداد الوطن بك قوة ؟ ذلك لا يتأتى لك الا بخلال ثلاث : اولها الصدق في المعاملة . وثانيها احسان القيام على مهنتك . وثالثها مجاراة القوم في الهمة الشماء مع الاقتصاد لحفظ رأس المال سالماً من النقص فيزداد بما تريده من خبرتك وتفوّقك على مزاحميك حيث كانوا

وهوذا كلمة اهمسها في اذنك عند الفراق وهي : ان معظم زُبنك يخافون الدخول الى مخزنك لِما هو معروف من كثرة الغش في الشرق . فاذا جعلتَ كلمتك واحدة حقة وأَبطلت المساومة اقتصدت من وقتك وسهل عليك كسب رزقك ومحوتَ وصمةً سجلها الغرب على الشرق وسخربنا وما نحن قوم تليق بهم السخرية . فالى الملتقى يا صديقي التاجر . واذا دخل عليك مشترٍ وبيده هذا العدد من النفائس فحاذر من ان تعامله معاملة شرقية لئلا يتلو عليك ثانيةً هذه العظة التجارية

وسلامٌ عليك يا صديقي الاستاذ فاني عهدتك كثير التأفف من مهنتك فزرتك زيارة المستفسر عن امرك المستطلع طلع حالك . ولا اكتم عنك اشفاقي عليك لأَنَّ قدرك ضائع في بلادنا واجرتك ناقصة نقص معارفنا وآدابنا . ترى القوم يجهلون مقامك ام يتجاهلون اذ يذكرونك مع

---

(١) العرب تقول : هو ابن عم لحًّا اي لاصق النسب وهو ابن عمٍ كلالةً اذا لم يكن لحاً وكان رجلاً من العشيرة

غيرك بغير مساواة وبعدم مبالاة . هم على غير هدىً من امرهم ولو أنصفوا لأَنزلوك منزلة علية في قلوبهم وفي مجالسهم وفي احاديثهم . او لستَ انتَ الزارع بذار العلم والاداب فتشيد اركان الهيئة الاجتماعية الادبية مثل الزارع بذار الاقوات الجسدية . بل انت اهمُّ عملاً وجدير بان اخصك بمقالة برأسها وأَزورك زيارة يطول فيها مقامي معك فأَنشر للملا ما طواه الناس من فضلك وعلو منزلتك في الهيئة الاجتماعية . فاسمح لي الان بزيارة نسيبك الكاتب

هوذا يدي تصافحك يا زميلي الفاضل وكلمتي لك تختلف كل الاختلاف عن كلمتي لغيرك فانك من قادة الافكار ورقبآء العمل الاجتماعي وادلاء الدولة الى مواطن الخلل وطرائق الاصلاح فمهنتك مثلثة التبعة متعددة المنفعة . ولكن اين من يعرف حقيقة مهنتك وانك الوسيط والشفيع والمحامي والقائد والمدافع حتى يقال عنك بحق انك المابين بعينه بين الدولة والشعب

نعم انت كل هذا وأَزيد ولكن ذلك لا يبرر ك في عيني نفسك اذا لم تدرس حالة الشعب الذي انتدبتَ ذاتك للمدافعة عنهُ والسير به الى الامام — الى ذرى المجد والرقي الصحيح . فكيف يمكنك والحالة هذه ان تشير بالدوآء اذا لم تحسن تشخيص الدآء . فمهنة الصحافي لا تقوم بطبع الكلام ونشرهِ على الانام بل بدرس احوال البلاد والكتابة في ما يرقي شؤُونها ويدفع عنها الافات التي تتهددها

ولقد اخطأَ من فهم معنى السياسة انه نقل اخبار الحوادث اليومية

والتفنن في معالجة الشؤون الدولية. وعندي ان السياسة الحقة انما هي خدمة البلاد باظهار المعايب وبيان ما يقتضي من مستلزمات الاصلاح والتقدُّم مع الحث على عمل المفيد واجتناب الضارّ

وعسى ان لا تكون يا زميلي الفاضل من اولئك الصحافيين الذين يضيعون الحبر والورق في سبيل المطارحات الهزلية او المهاترات الصبيانية او قضاء اللبانات الشخصية . لانك ان كنت منهم فقد غضضت من مقام الصحافة وحططتَ من قدرك في عيون الامة الشاخصة اليك بابصارها

واني اتوقع منك كلمة في دورك فتنتقد ما لا تراه موافقاً من مقالي فتصلح ما اقع فيه من الاغلاط وتنبه الى ما يفوتني من الواجب فنتعاون بذلك على القيام بخدمة قليلة الشوائب كثيرة الفوائد

والان الى السراي وِجهتي وبيدي يراعة مبرية أخطُّ بها صدى زيارتي

يا حضرة الحاكم ! من بيده زمام الامن والحقوق والاصلاح وسياسة الاهلين

وارجو منك ان لا تلجم قلمي بمادة تعدّها دستورية . وما الدستور الاّ ابن الحرية . واذا كنت حقيقةً ممن يذعنون للحق ويخدمون الامة فتعال الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وهي ان لا تحمل انتقادي الا على محمل الاخلاص في الخدمة الصحافية والافضل ان لا تدع للقول مجالاً فيما لا يرضيك فلا تسمع الا ما يسرُّك ويطربك . واذا رأيت مني تحاملاً مقصوداً فحقك ان تردَّ قلمي الى دواته فحياة التهوُّر شرٌّ والخير في مماتهِ

واذ قد اتفقنا على ان يقوم كلٌّ منا بما عهد اليه متعاونين متكافئين فالى الملتقى ايها الممثل النظام وعما قريب أُسمعك صدى اعمالك فعسى ان ينقل اليك الثناء مجموعًا من متفرقات اقوال الامة جمعاء عما اظهرتهُ من الهمة الشماء

بقي لديَّ كلمات شتى لكثيرين من القرآء على اختلاف نزعاتهم غير اني اعتذر لهم بداهمة الوقت وقد حان لي ختم المقال وانا لا ازال في طريقي الى ساستنا العظام في مجلس النواب

فكلمة التعارف بيننا سلام الشعب وبسط آمال الامة العثمانية التي ترجو منكم بلسان الصحافة ان تقدموا النظر في الاهم على المهم وما اهم من ان يؤمن الانسان على نفسهِ اولاً وهي أعزُّ ما يمتلكهُ ثم على عرضه ثم على مالهِ . وهذا التأمين لا يتأتى الا بتوسيع دائرة الاشراف على الامن العام والمراكز الحقوقية . فزيادة عدد البوليس في المدن وغيرها من الاماكن المبتلاة بالفتن والنزاع ومواصلة السهر على اعادة السكينة الى نصابها والحقوق الى اربابها من اهم ما تقتضيه حالة البلاد . فاسمحوا لهذه المجلة بان تذكركم بذلك وعسى ان تنفع الذكرى

هذه كلمتي الاولى لقرآء النفائس الكرام ولعل الثانية تكون في موضوع العمران باوسع معانيهِ فاوفيهِ حقه وما يقتضيه

(بيروت) خليل سعد



تولستوي

ياسنايا بوليانا – اسطابوفو – الابدية ...

(١٨٢٨ – ١٩١٠)

في ٢٨ آب (شرقي) سنة ١٨٢٨ في قرية ياسنايا بوليانا (من ولاية تولا في روسيا) وُلد الكونت لاون نيقولا يفتش تولستوي

وفي ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩١٠ خرج تولستوي عند الفجر خلسةً من منزلهِ تاركاً ياسنايا بوليانا وفي عزمه مغادرة بيته وآله واعتزال الناس قاطبةً

وفي ٩ تشرين الثاني جيءَ بجثة تولستوي من محطة اسطابوفو الى محطة زاسيكا لاجل دفنها في ياسنايا بوليانا

في هذه الاسطر الوجيزة ثلاث مراحل من حياة نابغة الروس العظيم في طريقهِ الى الابدية : فالمرحلة الاولى استمرَّت ٨٢ سنة . والثانية ثلاثة ايام . والثالثة اسبوعاً

واما وفاتهُ فكانت في اليوم السابع من تشرين الثاني الساعة ٦ والدقيقة ٥ صباحاً

* * *

ما لفظ هذا الرجل العظيم روحهُ حتى تناقلت الاسلاك البرقية نبأ هذه الفاجعة الى كل صقع من اصقاع العالم . وفي لحظة واحدة شعرت الانسانية بالخسارة الفادحة التي انتابت روسيا والعالم اجمع

ان لقب تولستوي « الكاتب الروسي الكبير » الذي لم يحزهُ احد من جميع المولودين في روسيا في جميع العصور قد وُجد صغيراً حقيراً بالنسبة اليه لانه اصبح « الكاتب العظيم في العالم اجمع » — في جميع الاقطار وعند جميع الامم . غير ان هذا اللقب ايضاً صار ضئيلاً صغيراً وأَصبح تولستوي «ضمير العالم وضمير الانسانية»

ان اللغة الروسية قليلة الشيوع في ما وراء حدود روسيا . غير ان اسم (تولستوي) كان شائعاً وعزيزاً لدى جميع الناس وبين كافة الشعوب في اوروبا واسيا وفي اميركا واستراليا ..

ولقد اشتهر في العالم جمهور من الكتاب الاخلاقيين مثل شكسبير وغوتي ودانتي ورسكين ونيتشي وغيرهم . بيدَ ان الشهرة الادبية التي ادركها تولستوي لم يدركها احدٌ منهم . فهو أَعلاهم كعباً وأَرفعهم مكانةً . والكتابات الاخلاقية الادبية العظيمة التي أَنتجتها قريحتهُ الوقادة وروحهُ العظيمة لم تصدر عن سواه على الاطلاق

عاش هذا الانسان كأبسط الناس . وكتب عن الحياة البشرية ما هو أَعظم حياةً من الحياة نفسها

هو لم يكن قديساً . ولكنهُ كان موءمناً بالابدية وكان أَقرب الناس اليهـا

دُفن تولستوي في الارض التي ارتوت من عرَق الفلاحين ودمائهم ودموعهم — اولئك الفلاحين الذين كان تولستوي يحبهم ويحترمهم ويتفانى في تثقيف عقولهم وتدميث اخلاقهم وترقية شوءُونهم وخدمتهم

دُفن في ياسنايا بوليانا وهي البقعة التي قضى فيها حياته العظيمة والتي كانت وستظلُّ محجًا يتوارد اليه الزوار والسياح من كل حدَب

في تلك البقعة أكمة جميلة كان تولستوي واخوته يقضون عليها اوقات لعبهم ولهوهم . في هذه الاكمة طمر نقولا تولستوي (وهو اكبر الاخوة التولستويين) عصاً زرقآء وكان يقول لاخوتهِ انه يعرف طلسماً وقد كتبهُ على هذه العصا ودفنها في شِعب من شعاب تلك الاكمة فاذا ظهرت هذه العصا من جديد يسود في الارض السلام وتستتبُّ المحبة وتزول الشرور وتنقطع الامراض والحروب . وكان عمر لاون تولستوي آنئذٍ خمس سنوات فاشتغل ذهنهُ بهذا الحديث وكان يقضي الساعات في البحث والتفتيش عن هذه العصا ولا يجدها . ولما كبر وتوفي اخوه الاكبر كان يختلف في اكثر الاوقات الى تلك الاكمة فيجلس بالقرب من ذلك الشِعب ويتذكر اخاه

صار تولستوي شيخًا وهو لا يزال يذكر هذا «التقليد الولدي» وقد اوصى بدفنهِ في ذلك الشعب على تلك الاكمة المحبوبة . وعملاً بوصيتهِ دُفنت جثتهُ باحتفال ومهابة . وسبحان الحي الذي لايموت (١)



(١) نشرنا ترجمة الفيلسوف تولستوي في مجلد السنة الثانية من هذه المجلة في نحو ثلاثين صفحة. وسنكتب في الاجزآء التالية من النفائس شيئًا كثيرًا من مقالاتهِ ورواياته مما ترتاح اليه النفس ويتعشقه الطبع

رثاء تولستوي

يا رسول السلام من للسلامِ ... يوم تُذكى نار الوغى بضرام
من يجير الضعيف بعدك اومن ... يرتجيه في الكارثات الجسامِ
أظلم الكون حين بنتَ فبتنا ... حلفاء الاشجان والالامِ
كنتَ للارض نورها وهداها ... فدهاها هذا الردّى بظلام
قرّت اليوم اعين الحكامِ ... من طغاةِ الاملاء والظلاّم
كنت ترميهم بكل مقال ... دونهُ يا (ليون) حدُّ الحسام
لا تظنن بفقده الروس خُصت ... عمّ خطب (الحكيم) كل الأنامِ
قد بكاه في الكون كل اديبٍ ... وبليغ وكل ندبٍ همامِ
وبكتهُ فضائل قد حواها ... لم نجدها في السالفين الكرام
ان يوماً فقدتُ فيهِ (ليوناً) ... كان عندي من أقبح الايامِ
يوم بؤسٍ ويوم كأب وكربٍ ... وشجون موصولة بدوامِ
إن نفسي حزينةٌ وفؤادي ... متشظٍّ والقلب والله دامِ
وسروري قد بان عني سريعاً ... وتألى ألاّ يزور مقامي
كيف ابغي من السرور اياباً ... ورجوعاً اليّ بعد انصرام
وانا أُبصر المنايا بعيني ... فاتكاتٍ بذي الرجال العظامِ
فوداعاً ايا سروري وداعاً ... وسلامي على (ليونٍ) سلامي

(القدس) إسعاف النشاشيبي



واطلعنا على قصيدتين شائقتين في هذا الموضوع احداهما لسعادة احمد شوقي بك منها هذه الابيات :

(تولستوي) تجري آيةُ العلم دمعها ... عليك ويبكي بائسٌ وفقيرُ
وشعب ضعيف الركن زال نصيرهُ ... وما كلَّ يومٍ للضعيف نصيرُ
ويندب فلاَّحون انتَ منارهم ... وانت سراج غيبوهُ منيرُ
يعانون في الاكواخ ظلماً وظلمةً ... ولا يملكون البثَّ وهو يسيرُ
تطوف كعيسى بالحنانِ وبالرضى ... عليهم وتغشى دورَهم وتزورُ
ويأسى عليك الدين اذ لك لبهُ ... وللخادميه الناقمين قشورُ . .
تناول ناعيك البلاد كأنهُ ... يراعٌ له في راحتيك صريرُ
وقيل تولى الشيخ في الارض هائماً ... وقيل بدير الراهباتِ اسيرُ
وقيل قضى لم يغنِ عنه طبيبهُ ... وللطبِّ من بطش القضاء عذيرُ

والثانية لحضرة حافظ افندي ابرهيم نقتطف منها ما ياتي:

رثاك امير الشعر في الشرق وانبرى ... لمدحك من كتاب مصر كبيرُ
ولست أبالي حين ارثيك بعده ... اذا قيل عني قد رثاه صغيرُ
فقد كنتَ عوناً للضعيف وانني ... ضعيفٌ ومالي في الحياة نصيرُ
ولست أبالي حين ابكيك للورى ... حوتك جنانٌ او حواك سعيرُ
فاني أُحب النابغين لعلمهم ... واعشق روض الفكرِ وهو نضيرُ
دعوتَ الى عيسى فضجت كنائسٌ ... وهزَّ لها عرشٌ وماد سريرُ
وقال اناسٌ انهُ قول ملحدٍ ... وقال اناسٌ انهُ لبشيرُ

ومنهـا:

قضيتَ حياةً ملؤها البرُّ والتقى فانتَ باجر المتقين جذيرُ
وسموكَ فيهم فيلسوفًا وامسكوا وما انت الاَّ محسنٌ ومجيرُ
وما انت الاَّ زاهدٌ صاح صيحةً يرنُّ صداها ساعةً ويطيرُ
سلوتَ عن الدنيا ولكنهم صبوا اليهـا بمـا تعطيهم وتميرُ
حياة الورى حربٌ وانت تريدها سلامًا واسباب الكفاح كثيرُ
أَبت سُنةُ العمران الاَّ تناحرًا وكدحًا ولو ان البقآء يسيرُ
تحاول رفع الشرّ والشرُّ واقعٌ وتطلب محض الخير وهو عسيرُ
ولولا امتزاجُ الشرّ بالخير لم يقم دليلٌ على ان الاله قديرُ...
ولو كان فينا الخير محضًا لما دعا الى الله داعٍ ان تبلج نورُ
ولا قيل هذا فيلسوفٌ موفقٌ ولا قيل هذا عالمٌ وخبيرُ
فكم في طريق الشرّ خيرٌ ونعمةٌ وكم في طريق الطيبات شرورُ



الحلية الذهبية

حدَّث احد رجال الشحنة السرّية قال:

دعاني رئيسي ذات يوم لمقابلة خصوصية مهمة فبادرتُ اليهِ في الحال فوجدتهُ جالسًا في مكتبهِ مشرَّد الافكار مقطب الوجه فادركتُ ان امرًا في غاية الخطورة ينتظرني فسررتُ في داخلي وحييتهُ باحترام وانا اودُّ ان يفضي اليَّ بامره لأَقوم بهِ مهما كان شاقًا وخطيرًا.

فلما رآني اشار اليَّ بالجلوس ثم اخذ رزمة اوراق كانت امامه على المائِدة وبعد ان قرأَ بعضها نظر اليَّ وقال : قد عهد اليَّ في هذين اليومين بالكشف عن مسئلة في غاية الغموض والاشكال ولما كنتُ لا أَرى بين رجالي من يساويك مقدرةً وتفنناً في اكتشاف الغوامض أُفوّضها اليك وفي يقيني انك لا تلبث ان تحلها ولو كانت أَعقد من ذنب الضبّ

فتبسمتُ بافتخار وقلت له: اني رهين اشارتك يا استاذي في كل امر فقل ما تريد وانا أَعدك ببذل جهدي وحياتي في سبيل مرضاتك

قال — البارحة كان عندي مستشار البلاط الروسي وأَخبرني بان برنساً من الاسرة القيصرية موجود الان هنا في برلين بوظيفة ضابط في فرقة جنود الحرَس الامبراطوري وانهُ يبدّد اموالاً لا تحصى . فقد أَنفق في مدة خمسة اشهر سبعمئة الف مارك وان والديه يريدان ان يعرفا السبيل الذي تنفق فيه هذه الاموال . فمهمتنا اذاً الكشف عن ذلك . ومما عرفتهُ ان للبرنس المذكور اربعة وعشرين عاماً من العمر وهو اديب مجتهد ويستعدُّ لدخول الاكادمية الحربية . فأَرجو منك ان تتجرَّد لهذا الامر وتسعى لمعرفة غوامضهِ بغاية ما يمكنك من التحرُّز والتحفظ لئلا يرتاب بك البرنس او احدٌ من رجاله فتزداد المسئلة تعقداً وغموضاً . وكل ثلاثة ايام قدّم لي تقريراً باعمالك

قلت — وهل بقي شيء تريد اطلاعي عليه من احوال هذا البرنس ؟

قال — هذا كل ما عرفتهُ عنه . وازيدك علماً انهُ يسكن بيتاً بالقرب

من الثكنة العسكريَّة التي هو احد ضباط جيشها وله بجوار بيت سكناه اسطبل خاص لخيولهِ وعرباته . اما حاشيتهُ فمؤلفة من مستشار برتبة ضابط ورئيس بلاط وخادمين من خدام القصر الملوكي وحاجبين وعدة حوذية وسوَّاس

ولما فرغ رئيسي ولم يبقَ لديه خبر آخر مما يتعلق بهذه القضية حييته وانصرفت من ساعتي الى جهة منزل البرنس ولبثت هناك الى المساء بدون ان يشعر بتجسسي احد . وقد رأَيت البرنس عائداً في المسآء الى منزله . وكان بالقرب من المنزل مطعم كبير يتردَّد اليه رجال البرنس فرأَيت ان ازرار اثوابهم تميزهم عن سائر الناس بعلامة خاصة منقوشة عليها بحيث يمكنني تمييزهم عن سواهم . وقد دخلتُ المطعم المذكور حيث تناولت الطعام ودفعت لاحد المستخدمين بضعة ماركات كجائزة على حسن خدمته وانتهزت فرصة فراغه من الخدمة وسألته عن رجال البرنس وقد كان بعضهم في المطعم وخرجوا . فقال — انهم خدام برنس روسي يسكن بجوار المطعم

قلت — يظهر لي ان هؤلاء الخدام ينفقون من سعة

قال — لا اظن ذلك وانا اعرفهم اكثر من كل رجل سواي . فالسوَّاس والحوذية والحجاب يتردَّدون يومياً الى هنا واما الباقون من الحاشية فيأتون بعض الاحيان فقط وجميعهم يعيشون بتمام البساطة وينفقون بكل اعتدال حتى ان البرنس نفسهُ كما يقولون يؤثر البساطة في العيش وعدم التأنق في شيء . وهو شاب لطيف دمث الاخلاق

حسن المعاملة وديع للغاية يحبس نفسهُ كل يوم في المنزل ويدرس من الصباح الى المسآء على اساتذة خصوصيين يأتونه يومياً لاعداده لدخول المدرسة العليا

سمعت هذا الكلام من خادم المطعم وانا اظهر عدم المبالاة بمثل هذه الاخبار . وفي اليوم التالي اكتريت غرفة بالقرب من منزل البرنس وصرت اتردد الى المطعم لاجل مناولة الطعام وانا اسعى جهدي للتعرُّف ببعض خدام البرنس وقد أَشعتُ اني وكيل احدى الشركات التجارية

مضت عليَّ خمسة ايام وانا ادرس تلك الجهات وسكانها واكثر المترددين عليها ولم أتقدم خطوة في سبيل النجاح . وفي اليوم السادس استدعاني رئيسي وقال — الظاهر ان القوم في روسيا يعتقدون باننا سحرة . فهم يطلبون منا ان نشتغل في هذه القضية بدون ان يشعر احدٌ بنا ومن الجهة الثانية يريدون ان نكشف لهم الحقيقة في طرفة عين . فقد كتب لي مستشار البلاط القيصري يقول ان حالة البرنس تزداد سوءًا وانه في خلال الاسبوعين الاخيرين قد انفق ثلاثمئة الف مارك وقد سآء ذلك والدَي البرنس والقيصر نفسهُ . هم لا يريدون ان يستوضحوه الحقيقة بل أناطوا ذلك بنا وقد وعدتُ بالقيام بهذه المهمة فأسألك ان تبذل غاية جهدك في هذا السبيل . والذي يجول في خاطري ان البرنس مولع بالمقامرة والاَّ فالى اين تتسرَّب جميع هذه الاموال ؟

قلت — وانا هكذا اظن لاني علمت ان البرنس بسيط جداً في معيشتهِ فلم يبقَ الاَّ ان يكون من المقامرين ولكن انَّى لي التعرُّف

باصحابه الذين يختلف اليهم

قال ـ لا انكر ان المسألة عويصة جداً والا نكى ان البرنس لا يلعب مع رفاقهِ الضباط كما تحققت ذلك من رئيس الجيش نفسه فهو اذاً يخالط قوماً آخرين

قلت ـ ولكن كيف يمكنني ان اعرف اولئك الاشخاص الذين يخالطهم وهم بلا شك من الطبقة العليا التي يصعب على امثالي الاطلاع على شيء من امورها الداخلية

قال ـ والذي علمته من تقريرك ومن غيره ان البرنس لا يخرج كثيراً من منزله واذا خرج فانه في اكثر الاحيان يتوجه الى القصر وهو بلا شك لا يبدّد هناك كل تلك المبالغ الجسيمة . فاسعَ ايها العزيز جهدك ولا اظنك الاَّ موفقاً ان شآءَ الله

فوعدتهُ خيراً وانصرفت من لدنه وليس امامي الاَّ مواصلة السعي والاجتهاد وقضيت بعد ذلك خمسة ايام دون ان اشاهد اسرتي وقد هزَّني الشوق اليها فركبتُ عربة وانطلقت الى بيتي على امل ان أعود حالاً . وما كدت انزل من العربة امام بيتي الاَّ واستوقفني الحوذي قائِلاً — اذا صدق ظني فحضرتك رئيس الشرطة !

فتبسمت ولم أستغرب معرفتهُ اياي من معرفته لمنزلي وقلت — وهل لك حاجة فأقضيهـا ؟

قال — اليوم صباحاً قبل ان اخرج بعربتي من البيت اخذت انفضها وانظفها فرأيت فيها هذه الحلية الذهبية ولما كانت لا تخصني

وليس لي حق فيها ارجو منك ان تأخذها وتريحني من كل تبعة

قلت — ولكن لماذا تعرضها عليَّ وانت تعلم ان مثل هذه الاشياء يجب ان تأخذها الى دار الامانات ؟

قال — انا اعلم ذلك يا سيدي ولكن قلة فراغي تحول دون الاهتمام بذلك ولو اكتفوا بذهابي الى دار الامانات مرة واحدة لهان الامر ولكنهم سيرغموني الى التردّد الى هناك مرات عديدة لاخذ قراري اولتكرار سؤالي وكتابة تقريري وغير ذلك مما تعرفه حضرتك

قلت — لا بأس فهات الحلية . ثم اخذتها منه وكتبت في دفتري نمرة العربة (٤٨٧٢) وألقيت الحلية في جيبي بدون اهتمام ودخلت منزلي حيث لبثتُ نحو ساعتين ثم قمت وعدت ادراجي . ولما ولجتُ المطعم وجلست الى المائدة التي كان من عادتي الجلوس اليها رأيت بالقرب مني احد حجاب البرنس وكان ينظر اليَّ كأنه يريد ان يسألني شيئًا . فحنيت له رأسي علامة السلام . فأجابني بالمثل ثم اقترب مني وجلس الى مائدتي وسألني ان اطلعهُ على مواعيد سفر قطارات سكة بوتسدام . فسررتُ في داخلي لاني حظيت اخيرًا بالتعرُّف الى واحد من رجال البرنس ومددتُ يدي الى جيبي وانتشلت كتاب دليل السفر لاطلعهُ على ما اراده. وكنت بحال انتشالي الكتاب انتشلت ايضًا معه بدون انتباه الحلية الذهبية وقد تدحرجت على المائدة امامنا فشعرتُ بها وفطنت لامرها . اما حاجب البرنس فحالما نظرها ظهرت الدهشة في وجهه ومدّ يده فتناول الحلية وتفرّس فيها مليًّا وانا اراقب كل حركة من حركاته ثم

قال لي — من اين لك هذه الحلية ؟

قلت — انها وقعت في يدي اتفاقاً وانا مزمع ان ارسلها الى دائرة البوليس لتسأَل عن صاحبها لانها وُجدت في احدى العربات . ثم فتحت دفتري وذكرتُ له نمرة العربة التي وُجدت فيها واستثليت قائلاً — وان الحوذي دفعها لي لاسلمها انا الى دائرة البوليس ويتخلص هو من تبعة امرها

قال — هل تسمح لي ان أَغيب بهذه الحلية مدة عشر دقائق فقط ؟

قلت — لا بأس من ذلك ولكن لا تنسَ أَني لست صاحبها وانها امانة في يدي يتحتم عليَّ تسليمها لمن يخصهم ذلك

قال — كن براحة بال فلا أَلبث ان اعود بها الى هنا . ثم خرج بها وتوجه الى منزل البرنس ولبثت انا في مكاني وقد أَشرقت عليَّ بارقة امل وقلت في نفسي لعلَّ هذه الصدفة تكون فاتحة نجاحي في الاكتشاف وطالما كانت الصدف اكبر مرشد وأَعظم دليل لاشهر الشحنيين في سائر انحاء العالم

ولم تمضِ مدة العشر دقائِق حتى عاد الحاجب وقد زالت دهشتهُ التي ظهرت منذ هنيهة على وجهه فناولني الحلية وقال — شكراً لك

قلتُ — لعلك عرفت صاحبها او لعله يكون من معارفك او ذويك

قال — لا وانما الذي ادهشني هو شدة مشابهتها لغيرها . فهي عملة فارسية نادرة الوجود ورئيس حاشية مولاي البرنس من مشاهير علماء المسكوكات القديمة فأَخذتها لاريه اياها ولكنه حالما تفرَّس فيها قال انها

تقليد العملة الفارسية المشهورة

قلت ـ ذلك سيان عندي لانها لا تخصني وليس من شأني الاّ تسليمها لدائرة البوليس وهي ادرى بالسؤال عن صاحبها

وبعد حديث قصير غير هذا قام الحاجب فانصرف وقمتُ فعدتُ الى غرفتي بالقرب من المطعم . وفي الساعة العاشرة مساءً جاءني في البريد رسالة من ابنتي الكبيرة تقول فيها : ان الحوذي الذي نمرتهُ ٤٨٧٢ قد جاء اليوم الى بيتنا وطلب مشاهدتك ليأخذ منك حليةً استأمنك عليها وقد وعد ان يأتينا غداً الساعة السادسة صباحاً ليستلمها منك

قرأتُ هذه الرسالة ثم قمت واستلقيت في سريري وانا أعتقد بان الحلية ستلعب دوراً مهماً في عملي وصممت ان احتفظ بها واتخذها وسيلة للعمل . ولما انبثق فجر اليوم التالي اسرعت الى بيتي حتى اذا صارت الساعة السادسة جاء الحوذي وقال بتمام البساطة ـ البارحة جاءت الى بيتي سيدة فلم تجدني ولكنها اخبرت زوجتي بانها صاحبة الحلية الذهبية المفقودة وانها بعد ان أوصلتُها الى بيتها افتقدت حليتها فلم تجدها فسألت عني بواسطة التلفون وجاءت مسرعة تطلبها . ولقد دهشت يا سيدي لانها اهتمت بمعرفة نمرة عربتي مع ان السيدات عموماً قلما ينتبهنَ الى معرفة مثل ذلك . ولما لم يسعها انتظاري اوصت زوجتي بان ترسلني اليها بحال رجوعي الى البيت وقد وعدت بجائزة لي قدرها عشرة ماركات ان انا سلمتها الحلية . ولذلك فقد جئت اليك على امل ان تردّ اليّ هذه الحلية اذا كانت لا تزال معك لئلاّ افقد الجائزة الموعودة

قلت – ان الحلية لا تزال معي وانك لا تخسر الجائزة فهل تعرف عنوان هذه السيدة ؟

قال – بلا ريب لانها أَبقت عند امرأَتي رقعةً بعنوانها وها هو

فأَخذت الرقعة منه وقلت – حسن خذ هذه العشرة ماركات وأَبقِ الحلية لديَّ لاني اريد ان آخذها بنفسي الى صاحبتها لان ذلك يهمني واما انت فقد أَخذت نصيبك فلا يلزمك ان تُعنى بغيره وارجو منك ان لا تذكر لاحد اني من رجال الشرطة واذا سئلت عني فقل اني وكيل احدى الشركات التجارية واسمي كونتسي

فأَخذ الحوذي العشرة ماركات وشكرني كثيرًا وقال – كن مطمئنًا وثق باني لا اقول لاحد عن وظيفتك شيئًا . ثم سلم وانصرف

وبعد انصرافهِ نشرت الرقعة فظهر لي منها ان اسم صاحبة الحلية «البارونة غروشينسكايا» وانها بولونية الاصل وساكنة بقرب منزل البرنس ونمرة منزلها ٤٢ . ولم أَلبث ان خرجتُ من البيت وتوجهت الى منزل البارونة المشار اليها . ولما انتهيت اليهِ وجدت مطعمًا في الجهة المقابلة له فدخلت وطلبت شيئًا من الطعام واخذت أَتأمل المنزل فرأَيتهُ بناية كبيرة جميلة . فجعلت أَرقب الطريق وأَتفرس في المارّين . ولما مضى عليَّ ساعتان ولم أَرَ ما يدعو الى الاهتمام قمت وسددتُ اقدامي الى المنزل وقرعت الباب وللحال فتح لي حاجبٌ ما كدت اتفرس فيه حتى تذكرت اني رأَيتهُ في ماضي حياتي . اما هو فحالما رآني امتقع لونه وبانت عليه علامات الارتباك . فخشيت ان يعرقل مساعيَّ ولذلك تجلدت ولم اظهر اقل اشارة

الى اني اعرفهُ وقلت لهُ بكل رزانة ـ اني اريد مواجهة البارونة غروشينسكايا . قال ـ لعلك تريد عمها البارون غروشينسكي . قلت ـ لا بل البارونة لانني اودُّ ان اقدم لها حليتها

وكان الحاجب لا يزال حائرًا مبغوتًا فسألني ـ وكيف تأمر ان أذكر للبارونة اسمك ؟ قلت ـ اسمي كونتسي وانا تاجر وقد وجدت حليتها في العربة التي فقدتها فيها وارشدني الى هنا حوذي تلك العربة . قال ـ فانتظرني هنا قليلاً ريثما انبئ البارونة بامرك . ولم يمضِ الاَّ بضع دقائق حتى عاد وقال ـ تفضل يا خواجا كونتسي الى ردهة الاستقبال فان البارونة تريد ان تشاهدك شخصيًا وهي تسألك ان تنتظرها قليلاً ريثما تفرغ من لبسها . ثم قادني الى ردهة فسيحة واراد ان يتركني وينصرف لشأنه فأَحببت ان احادثه قليلاً لانفي من ذهنه كل ريبة بي ولهذه الغاية سألته عن بعض جهات برلين والسبيل الى الوصول اليها وذكرت لهُ اني من مدينة همبورغ وقد صار لي في برلين بضعة اسابيع واودُّ التعرّف بكبار الناس ليزداد عملي نجاحًا وتزداد ثقة الناس بي . . . وكان هو يجيبني على اسئلتي والدهشة تزول عن وجهه شيئًا فشيئًا الى ان لم يبقَ لها أَثر وقد تأكد لديَّ انه لم يعد يرتاب بي . وهكذا تركني وانصرف معتقدًا بانني لستُ الشخص الذي أَثر فيه كل ذلك التأثير

وما كاد يتوارى عن بصري حتى دخلت البارونة تميس بقدّها الفتان . رأَيت في زماني كثيرات من ربات الجمال ولكنني لم أرَ جمالاً كجمالها ولا ابّهة كابهتها وظهر لي انها فتاة بسن السادسة والعشرين من العمر . ولما

دخلت حيث . فوقفت اجلالاً لها . فقالت – علمت من حاجبي انك وجدت حليتي فشكراً لك . فأخرجت الحلية من جيبي ودفعتها لها قائلاً – اني وجدتها اتفاقاً في احدى العربات وقد كدت اسلمها الى دائرة البوليس لولا ان الحوذي أخبرني بانها تخصكِ . فأخذت الحلية من يدي ثم تأملتها ونظرت اليَّ بعينيها الساحرتين وقالت – اشكرك جداً لما اظهرتهُ من العناية والاهتمام بشأن هذه الحلية . ولا اكتمك انها ثمينة جداً لديَّ لارتباطها ببعض تذكارات لطيفة واني قد وعدت الحوذي بجائزة عشرة ماركات أفلا يمكنني ان اقدم لك خدمة ؟

قلت – أشكر لطفكِ ياسيدتي وحسبي رضاكِ احسن جزآء لي . اما الحوذي فقد دفعت انا لهُ القيمة الموعود بها

قالت – فاذاً قد اصبحتُ مديونة لك . ثم اخرجت من جيبها عشرة ماركات ودفعتها لي . فأَخذتها بدون ممانعة لئلا أَجعل في نفسها ريبة بي . ثم قالت – يغلب على ظني انك تاجر

فعلمت انها تودُّ محادثتي والتلطف بي فقلت – نعم يا سيدتي وأنا وكيل احدى الشركات التجارية

قالت – وهل لك ان تنبئني بعنوان ادارة عملك اذ لعلي اضطرّ يوماً ما الى تكليفك ببعض شؤون

فذكرتُ لها عنواني اي عنوان المكتب الذي اتخذتهُ بجوار منزل البرنس وتفرَّستُ فيها جيداً لاراقب ما يبدو منها فرأَيت وجهها قد علاه بعض البغتة لدى ذكري هذا العنوان واستتليت قائِلاً – اني

في برلين منذ اسبوعين فقط وقد تركت اسرتي في همبورغ حتى اذا توطدت اعمالي جئت بها الى هنا

قالت — اني اسأل الله ان يأخذ بيدك ويكتب لك التوفيق ليتيسر لك ان توطد عملك وتجمع شملك بعد هذا الفراق

وبعد نحو نصف ساعة في مثل هذا الحديث . قمتُ فودَّعتها شاكرًا لطفها ورقة جانبها وانصرفت من عندها دون ان أستفيد شيئًا جديدًا يمهد لي السبيل في ما انا ساعٍ اليه . ولكني ما كدت أَصل الى اسفل الدرج حتى فتح الباب ودخل منهُ البرنس وصعد في الدرج دون ان يكترث بي . فسررت في داخلي وأَيقنت بقرب الفرج . فودعت الحاجب وسرت في طريق المحطة لاوهمه باني اريد السفر الى جهة بعيدة في سبيل غاياتي التجارية . ولما تواريت عن المنزل ركبت عربة وسرت في جهة اخرى الى دار الشحنة حيث اجتمعت برئيسي وذكرت له بالتفصيل عن مقابلتي للبارونة . فأَشرق وجههُ سرورًا وقال — ان التقادير تساعدك فاجتهد لتفوز بالاطلاع على كل ما يتعلق بهذه القضية . واما انا فسأَسعى لمعرفة شخص البارون غروشينسكي وغدًا تأتي الى هنا فاطلعك على غوامض امره

ثم خرجت من لدن رئيسي وانا مشتغل الذهن بأمر الحاجب وقد تأكد لي اني شاهدتهُ في ماضي حياتي . وبعد اجهاد الفكرة تحققت انه من معارفي السابقين وانه من اهل السوابق والذين يطلبهم القضاء . وقضيتُ باقي هذا النهار بعيدًا عن البقعة التي فيها منزل البارون وابنة

اخيه . وفي الصباح التالي انطلقت الى بيت رئيسي فعلمتُ منهُ ان البارون غروشينسكي من اهالي غاليسيا وانه كان مستخدما بوظيفة مستشار في سفارة النمسا وقد جاء منذ بضعة اسابيع من باريس الى برلين ولم يزل فيها وانهُ لم يُوصَم بشيء مما تحظره شرائع البلاد وله ثروة صالحة ولكنه يتكتم في امر معيشته وليس لاحد اطلاع على شيءٍ من احواله الداخلية وان عمره لا اقل من ستين وعمر ابنة اخيه سبع وعشرون سنة . وعلمت ايضـاً ان في خدمته طبـاخة وخادمة بولونيتـين وحاجباً فرنسوياً اسمهُ جان فيري

سمعت ذلك من رئيسي وخرجتُ من منزله وانا ازداد ريبة في امر جان فيري . وفي صبيحة اليوم التالي بينا كنت جالساً في غرفتي أتناول طعام الصباح خطر في بالي جان المذكور وتذكرت اني منذ خمس او ست سنوات عرفتُ رجلاً باسم فرتل كثير الشبه بجان . وان فرتل هذا بعد ان خدم بضع سنوات في الجندية الفرنساوية جاء الى برلين ودخل في خدمة تاجر غني لم يلبث ان اتهمهُ بالسرقة وكنت انا من الشحنيين الذين فُوّض اليهم البحث عن هذه القضية وكانت شواهد الحال تدلُّ على انهُ هو السارق . ولكني لم أستطع القاء القبض عليه لانهُ فرَّ وقتئذٍ بحيلة غريبة . ومضى على ذلك ست سنوات وها ان فرتل قد عاد الان الى برلين واستخدم في منزل البارون غروشينسكي باسم جان فيري

ولما ثبت ذلك في ذهني استبشرتُ خيراً وأيقنت ان لا سبيل الى معرفة اسرار البارون الا بواسطة جان وعزمت ان أنتهز الفرصة فألقي

عليه القبض وأُرغمه الى الاقرار . وصرتُ من ذلك الحين أُراقب منزل البارون بكل دقة وانتباه فكنت أرى البرنس يجيء الى المنزل المذكور كل يوم صباحاً وبعد ان يمكث هناك ساعة او اكثر كان يعود الى منزلهِ فيقضي الوقت بين اساتذتهِ الذين كانوا يجهزونه لدخول الاكاديمية الحربية

بقيت في مثل ذلك اربعة ايام . وفي اليوم الخامس رأيت رجلاً اعرفه داخلاً الى منزل البارون ولم يلبث الاَّ ساعة حتى خرج بمعية البرنس . واسم هذا الرجل كرامر وهو مشهور في برلين بغناه وبميله كل الميل الى المقامرة . فلم يبق لديّ شك بان البارون ايضاً كان مقامراً وانه جعل ابنة اخيه شَركاً لاغرآء البرنس واستلاب امواله

وفي ذلك النهار بينا كنت أُراقب المكان عن بعد رأيت جان فيري خارجاً من منزل البارون بعد الظهر وعليه ثياب جميلة غير ثيابه الرسمية التي كان يرتديها في اثنآء الخدمة فعلمت انهُ خارج لترويح النفس في بعض الجنائن فتبعته حتى اذا توارى عن المنزل أَشرتُ الى شرطي كان ماراًّ من تلك الطريق ان يتبعني وأَسرعتُ بعد ذلك حتى اذا أَدركت جان أَلقيت يدي على كتفه وقلت له بخشونة — اني باسم الحكومة أُلقي عليك القبض فاتبعني يا خواجا فرتل بدون ابطآء اذ ليس لك مناص من وجه العدالة واذا تأخرت فاني أَسوقك امامي بمساعدة هذا الشرطي وحينئذٍ يصير عقابك مضاعفاً

فلما سمع جان (او فرتل) هذا الكلام علته البغتة وتبعني صامتاً دون ان ينبس ببنت شفة . ولما وصلنا الى دار الحكومة أُلقي جان في غرفة من

غرف السجن حيث تُرِكَ ست ساعات عرضةً للافكار والهواجس وهو تحت رهبة العقاب . وليس للمجرمين او المقبوض عليهم ما يخيفهم ويرهبهم الاَّ مثل هذه الطريقة . وعند المسآء دخلت على جان وقلت له — لقد جئتك الان لاحادثك قليلاً في موضوع يهمني جداً فان انت اجبتني بالواقع أفدتَ نفسك ونجوتَ مما ينتظرك من اهوال العقاب والاَّ فانت الجاني على نفسك . إنك تعلم ولا شك ما يجري يومياً في منزل البارون غروشينسكي فاريد منك ان تطلعني بالتفصيل على كل ما تعرفه وانا أَعدك بعدم محاكمتك على ما جنتهُ يداك من جريمة السرقة منذ ست سنوات وانما اكتفي بايصالك الى حدود فرنسا . فاستشر فكرك وأَجبني

فنظر اليَّ فرتل (جان) وقال — اذا لم يكن بدٌّ من التصريح فهاءنذا اقصُّ عليك كل شيء بالتفصيل ولكني أَلتمس منك ان تعاملني بالرأفة والعفو كما وعدت . ويعلم الله اني سئمت الحياة في هذا المنزل المفعم غشاً وخداعاً وكنتُ على الدوام أَتوقع ان يفتضح الامر ويلحقني شيء من تبعته . فاعلم ياسيدي ان البرنس يختلف يومياً الى منزل البارون غروشينسكي ويصرف هناك ساعةً او اكثر في المقامرة وهو انما يفعل ذلك لا حباً الى المقامرة بل اكراما للبارون وابتغاء رضى البارونة التي كانت دائماً تجلس الى جانبه في اثناء اللعب وتظهر لهُ حبها وهيامها

قلت — وفي اي شيء كانوا يلعبون ؟

قال — في الورق . وكان الخواجا كرامر يحضر ايضاً في بعض الاوقات ويلعب

قلت ـ وهل كانت البارونة تلعب ؟

قال ـ كلاَّ ياسيدي وانما هي كانت تجلس بازآء البرنس وتساعد عمها وكرامر عليه بما كانت تبديه لهما من الاشارات والحركات فيطلعان بهذه الوسيلة على ورق البرنس ويسلبانه امواله وهو لا ينتبه الى شيء من ذلك . وكانت البارونة لا تساعدهما كل مرة في اول اللعب فيغلب البرنس ولكن القيمة تكون على الغالب مئة مارك فقط ولكن عندما تبلغ القيمة خمسين او ثمانين الف مارك كان البرنس يخسر على الدوام

قلت ـ وهل كانوا يلعبون بحضورك ؟

قال ـ كلاَّ وانما كنت ادخل في اثنآء اللعب فأقدم شيئاً من الشراب او أقوم بخدمة اخرى ولما اكون خارج الغرفة كنتُ اشاهدهم من ورآء الباب

قلت ـ وهل لك ان تخبرني عن الاشارات التي كانت البارونة تستعملها ؟

قال ـ في وضع اصبعها (السبابة) على فمها كانت تشير الى (الريّه). وعلى انفها (الأَصّ). وعلى عينها (البنت). وفي رفع خنصر اليد الاخرى اشارة الى ورق (الكبَّا) والسبابة ـ ورق (الديناري) والبنصر ـ (السباتي) والابهام ـ (البستوني) ....[1]

---

(١) ان ورق اللعب المتداوَل بين ايدي الناس لا يكاد يخلو منه منزل. وهو يُحمل الينا من اوربا . والمشهور انه من مخترعات الافرنج ينسبون اختراعه الى رجل فرنساوي

قلت ــ وهل في امكانك ان تنبئني كيف تعرّف البرنس بالبارون والبارونة ؟

فضحك جان وقال ــ وذلك ايضاً احبولة لا يعرفها الاّ امثال سيدتي البارونة . فان البرنس كان من عادته ان يمرّ من امام المنزل كل يوم تقريباً في وقت معلوم . ففي احد الايام خرجت البارونة من المنزل في ميعاد مرور البرنس ولما صارت بازائه سقطت الى الارض وتظاهرت بان رِجلها قد وُثئت وانها تكاد تتلاشى من ألم السقطة . فبادر اليها البرنس ورفعها عن الارض وهو يظهر اسفاً شديداً . فشكرتهُ البارونة وهي تتظاهر بعدم استطاعتها المشي وحدها . فقادها البرنس الى منزلها ولبث عندها بعض الوقت وهو يظهر استعداده لخدمتها وهي تظهر امتنانها له وتسأله ان يزورها . وفي اليوم التالي جاء البرنس يستنبئ عن صحتها وهناك تعرف بعمها . ومن ذلك الوقت صار يتردد الى المنزل يومياً وقد ولع بحب البارونة ولعاً شديداً

قلت ــ وهل كان يقدم لها هدايا ؟

قال ــ علمتُ من الخادمة انهُ كان يعرض عليها هدايا وتحفاً كثيرة

اسمه جاكمين غرنجونور كان يتعاطى صناعة التصوير . ويقولون أنه اخترع هذه اللعبة لشارل السادس ملك فرنسا ليشغلهُ عما الم به من السويداء . وذلك واقع فان امثلةً مما صنفهُ هذا المصوّر تُشاهَد في مكتبة باريس الى اليوم . ولكنه ليس المخترع الاول لهذه اللعبه فان ورق اللعب من مصنوعات الشرق قبل ذلك الزمن وقد حُمل الى اوربا سنة ١٣٧٩ نقلهُ اليها العرب عن طريق الاندلس . ويؤيد ذلك ان اسم هذا الورق في الاسبانية Naipes (نيب) وهو تحريف (لعب) العربية (الهلال س ٦)

فلم تقبل منه الا هدية واحدة وهي الحلية الذهبية التي عثرت عليها انت وأعدتها اليها وقد عرفتك وقتئذٍ ولكنك غلبتني بدهائك . اما الحلية المذكورة فهي من التحف النادرة وقد اخذها البرنس هديةً من الشاه حينما كان سائحًا في بلاده منذ بضع سنين . وقد سمعتُ انها عملة فارسية نادرة المثال لانه لم يُضرَب من نوعها الا ثلاث او اربع قطع . وكانت البارونة تحبّ هذه الحلية وتؤثرها على ما سواها وتضعها على الدوام في عنقها وخصوصًا في اثنآء وجود البرنس في المنزل

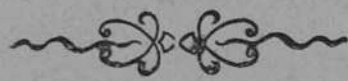
فأدركتُ للحال سبب الدهشة التي استولت على خادم البرنس في المطعم عندما شاهد الحلية المذكورة . وبعد ان افتكرتُ قليلاً قلت لجان — اني أشكر لك صراحتك في القول وأُريد ان تبقى هنا في هذه الغرفة يومين او ثلاثة فقط وبعدها تغادر هذه البلاد الى حيث تشآء واياك ان تعود الى هنا وسأوصي بك السجان خيراً

وفي مسآء ذلك النهار اجتمعتُ برئيسي وتداولت واياه وقتًا طويلاً . وفي نهاية الحديث أُرسلت رسالة برقية الى والد البرنس . وفي صباح اليوم التالي طلب البرنس الى بطرسبرج لنتمم عملنا في مدة غيابه . ولما تحققنا ذلك ذهبنا ومعنا بعض رجال الشرطة الى منزل البارون غروشينسكي لاستنطاقهِ . فاعترف بكل ما جرى واستردنا منهُ ومن كرامر ما استطعنا استرداده من المبالغ التي اكتسباها بطريق الحيلة والخداع من البرنس وهي اكثر من ثلاثمئة الف مارك من البارون ومئة الف اخرى من كرامر . وفي ذلك المسآء صدر امر الحكومة فنفى البارون وابنة

اخيه من المانيا مخفورين برجال الشرطة ونال كرامر جزاءه

وبعد يومين من تاريخ هذه الحادثة عاد البرنس الى برلين دون ان يعلم شيئاً مما جرى ولكني كنتُ اراه على الدوام حزيناً كئيباً بعد فراق محبوبته وسالبة عقله وماله وخصوصاً لان امرها بقي مكتوماً عنه

وارسل رئيسي الاموال الى بطرسبرج وكوفئَ على ذلك بمبلغ من المال وبوسام من الدرجة الاولى واما انا فكوفئت بوسام من الدرجة الرابعة وانتهى الامر



المدرسة

حديث قصير بين شرقي وغربي

— لله بلادك ايها الغربي فلقد سحرتنا بحضارتك ومدنيتك وبتقدمك وارتقائك وبتبريزك على امم الارض كافة . وحيرتنا بعلومك وادابك وبكل عمل تأتيه وقول . فبأي ذريعةٍ بالله تذرعت وبأي وسيلة توسلت وفي اي طريق سرت حتى بلغت مما روي لنا عنك ما بلغت ؟

— الطريق والذريعة والوسيلة يا ابن عمي هي المدرسة فانها السبيل الى الحياة والى السعادة والي الرقي والي الفلاح والي النجاح والي الصلاح والي المجد والى العز والى الخيرات كلها جمعاء وانها النور الذي هدانا والامام الذي ارشدنا والدليل الذي ما اضلنا قط ولن يضلنا ابداً . فإذا ابتغيت اسعاد قومك (وانك لتبتغيه) فادعُ اليها دهرك واذكر لهم

فضائلها ومآثرها وأرهم أنهم لن ينعشوا من صرعتهم الابها ولن يظفروا بسعادتهم الا عندها فليرفعوا بيوتها التي أمر العقل ان ترفع وليشيدوا مبانيها ومعاهدها ولينفقوا من المال والروح لها . وبين لهم انهم لو كتبوا الكتائب وجيشوا الجيوش وحشدوا كل عدة لدفع الاعداء والخصوم الالداء والطامعين في ارضهم لما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ان لم يكن ابن المدرسة قائد تلك الجيوش ومكتب تلك الكتائب . فالعصر يا اخا العرب عصر المدرسة وان شئت فقل عصر العلم فكل من لم يهتد بهِ ضل وكل من لم ينتهج مناهجه زل وكل من رجا الفوز في هذي الحياة بغيره خاب رجاؤه وخسرت امنيته ولم تربح

ان ذا العصر عصر علم وبحث ليس فيهِ لجاهل من هناء
ان ذا العصر عصر كدح ودأب ليس فيه لغافل من بقاء
تتبارى فيه البرايا وتسعى وتجارى والفوز للاقوياء

وها انا قد هديت وبينت فان اتبعتم هديي واسترشدتم بنصحي فلا بد ان تسودوا كما سدنا وتمجدوا كما مجدنا وان اشتريتم بقولي ثمناً قليلاً ظللتم لنا عبيداً والجاهل يا ابن العم عبد العالم في كل زمان ومكان

ـ حسبك حسبك ايها الغربي فلقد كشفت واوضحت ووعظت وانذرت ونصحت وما ألوت ولا قصرت وها هم قومي يسمعون ....

القدس ا . ن



آثار ادبية

بالنظر الى تأخر المجلة الشهرين الفائتين فقد تأخر ايضاً ذكر اكثر هذه المطبوعات فنرجو من اصحابها عذراً .

الاقتصاد

مجلة زراعية صناعية تجارية مصورة لصاحبها جناب الوجيه الخواجا انيبال ايلاً وهي تبحث في موارد الرزق واسباب العمران الصحيحة وتعتني بنوع خاص بفن الزراعة. تصدر في بيروت مرتين في الشهر وقيمة اشتراكها ٥ بشالك عدا اجرة البريد فنتمنى لها النجاح في خدمة البلاد

المرآة الوضية في الاحكام السليمانية

وهي مجموعة امثال وحكم على السن الانسان والبهائم والطيور. نظمها حضرة الكاتب الشاعر زكريا افندي الخوري الياس المري استاذ اللغة الفرنسوية في الكلية العلمية بحمص معرباً اياها عن اللغة الفرنساوية فجاءت كتاباً غزير الفائدة معنىً ومبنىً. وقد جعل ثمنه ثلاثة غروش. فنحث محبي الادب على اقتنائه ونثني على براعة ناظمه

الانيس

مجلة روائية ادبية تاريخية اخبارية تصدر في بيروت مرتين في الشهر لحضرة منشئها الفاضل سليم افندي ابرهيم صادر وهي تشتمل على سلسلة روايات جديدة منقولة عن اشهر الروايات الاوروبية التي لم يسبق نقلها الى اللغة العربية قبل الان وقيمة اشتراكها ٧ فرنكات في بيروت و٣٥ غرشاً صاغاً في البلاد العثمانية و٩ فرنكات في الخارج. فنرجو لها سعة الانتشار والنجاح

الريحانيات

تقدم لنا ذكر الجزء الاول من الريحانيات تأليف حضرة الكاتب الاجتماعي المتفنن امين افندي ريحاني. وبين ايدينا الان الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس الحافل بكل قول بديع في كثير من الاغراض الادبية والاجتماعية والفلسفية والانتقادية من كل ما تشوق

مطالعته وغاية ما نرجوه لهذا الكتاب ان تحتويه كل مكتبة ويتلوه كل اديب وهو يطلب من المكتبة العمومية في بيروت لصاحبها الفاضل سليم افندي صادر.

(الحمارة)

هي الجريدة الهزلية الخفيفة الروح التي صدرت في بيروت ونالت استحسان الجمهور. صاحبها حضرة الكاتب الهزلي المتفنن توفيق افندي جانا وقيمة اشتراكها مجيدي في البلاد العثمانية و٦ فرنكات في الخارج فنرجو لها زيادة الانتشار والاقبال

(الدروس الاولية في علم الجغرافية)

لا يخفى ما لعلم الجغرافيا من الفائدة العميمة واللذة العقليــة والنظرية التي يرتاح اليها كل ذي بصيرة. غير ان الكتب الابتدائية الموضوعة له و المتداولة بين ايدي التلامذة غير وافية بالمرام من حيث نسقها وبعدها عن مدارك الصغار وهم انما يُجبرون على دراستها واستظهارها من غـير توطئة لها توضح ما استغلق عليهم فهمـه وادراكـه بعقولهم الصغيرة فتوصلاً الى سدّ هذا النقص ألّف حضرة الاستاذين البارعين انطون افندي بلاّن وقسطنطين افندي قنازع كتاباً في هذا الموضوع سهل المأخذ جداً حوى ما لم يحوه كتاب قبله وهو يقوم مقام التوطئة لجميع كتب الجغرافيا المستعملة في المدارس الابتدائية وقد جاء كتابهما المذكور طرفةً من الطرف وفيه عدة رسوم لزيادة الايضاح فنثني على مؤلفيه الفاضلين لما بذلا من العناية في هذا التأليف المفيد وننصح لجميع ارباب المدارس ان يقدموا تدريسه قبل غيره من الكتب الاخرى الموضوعة وهو يُطلب من مؤلفيه في الناصرة ومن ادارة هذه المجلة في القدس وثمنه بشلك

(الورقآء)

مجلة علمية ادبية صناعية ينشئها في حلب حضرة الفاضل الخورفسقفوس جرجس شلحت ويصدر منها ستة اجزاء في السنة وقيمة اشتراكها ريال مجيدي في حلب و٥ فرنكات في سائر الجهات وقد صدر منها العددان الاولان (معاً) وفيهما من المقالات العلمية والادبية والتاريخية ما يشهد لحضرة منشئها بسعة الاطلاع وطول الباع

في الفنون العلمية واللغوية فنرجو لها ما تستحقه من الانتشار والاقبال

(سمير الليالي)

سبق لنا ان قرَّظنا الجزء الاول من هذا الكتاب النفيس لحضرة مؤلفه محمد افندي صوفي السكري والان قد صدر الجزء الثاني منه مشتملاً على اشهر الحوادث التاريخية من اخبار الدول العربية وخلاصة الحروب الصليبية وادارة الحكومة العثمانية وترجمة بعض سلاطين آل عثمان واعلان الدستور ويلي ذلك فصول كثيرة في وصف سكان الكرة الارضية وعوائدهم واخلاقهم مع وصف بعض الاختراعات العصرية وغرائب الحوادث والحكايات وغيرها ما تلذ مطالعته وتغزر فائدته. وهو يطلب من ملتزم طبعه حضرة الفاضل الشيخ عبدالله افندي الرفاعي صاحب المكتبة الرفاعية بطرابلس الشام وقيمة جميع الكتاب ريال مجيدي خلا اجرة البريد

(زهرة زنبق لمن عشق او سيعشق)

وهي مجموعة اشعار رقيقة تقع في ١٦ صفحة نظمها حضرة الذكي الاديب امين افندي فتح الله صباغ وقدمها الى «العواطف الرقيقة والقلوب الحساسة». فنشكر له هديته اللطيفة

(العروس)

مجلة نسائية تبحث في شؤون المرأة لحضرة منشئتها الفاضلة الآنسة ماري عبده عجمي. أُطرفنا بالجزء الاول منها فاذا هو طافح بكل جميل ومفيد من المباحث الادبية وهذه المجلة تصدر في دمشق مرة في الشهر وقيمة اشتراكها مجيدي ونصف في البلاد العثمانية ونصف ليرة في الخارج. فنحن نرحب بهذه الرصيفة الحسناء ونثني على حضرة منشئتها اطيب الثناء ونحث الاوانس والعقائل وجمهور الادباء على مناصرتها وتنشيطها ونرجو لها سعة الانتشار والنماء

ومما قرأناه فيها عن (جمال العيون) ما ياتي: اجمل العيون ما كانت المسافة بين العين والاخرى بحجم احداهما. الاعين الكبيرة هي جميلة لانها تدل على الذكاء وسرعة الحفظ الاعين الطويلة الاحداق

هي جميلة ايضاً لانها تشير الى الفطنة والتعقل. العيون الزرقاء اضعف بصراً من العيون السوداء وقد قيل ان عيون المعتوهين تكون على الغالب سوداء او عسلية

اهداء النفائس

أهدى المجلة عن هذا العام حضرات الافاضل:

(١) الشيخ اسبر افندي اليوسف (كورونيل دوريكو) الى قيصر افندي الحاج (بونس ايرس)

(٢) الآنسة الاديبة رمزا بيطار (اللاذقية) الى ابن عمها ميشيل افندي بيطار (مصر)

(٣) الشماس اندراوس كرشه (البلمند) الى اخيه حنا افندي كرشه (البرازيل)

(٤) و (٥) سمعان افندي حاماتي (حيفا) الى نادي جمعية الاتحاد والترقي (حيفا) والى الخواجا ايليا بيلو (بناما)

(٦) الخواجات يوسف عبد الله واخوه (بونس أيرس) الى الخواجا نخله زخور (الكفرون)

(٧) الخواجا حبيب عوكر (لوبس الارجنتين) الى اخيه الخواجا داود عوكر (الكفرون)

(٨) الخواجا الياس زخور (بونس ايرس) الى شاكر افندي الخوري (الكفرون)

(٩) الاستاذ ابرهيم افندي حنا (حيفا) الى الياس افندي مخائيل — رام الله

(١٠) خليل افندي صالح حكيم «حيفا» الى الخواجا جوزف خليل سكرتير ادارة التراموای الكهربائي في دمشق

فنشكر لهؤلاء الافاضل غيرتهم الادبية في تعضيد هذه المجلة .

— * —

تنبيه : وقع خطا مطبعي في الصفحة الاولى حيث جاءت كلمة امدّها وصوابها امدّوها